المقدمة

إن الْحَمْدُ للهَّ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

إن أهم مشروع فى حياة الإنسان هو مشروع تربية النشء، تربية الأولاد، فلذات الأكباد، فإذا نجح الإنسان فى هذا المشروع يكفيه هذا النجاح، حتى وإنْ فشل فى كل مشروعات حياته، وإن نجح ووصل إلى أعلى المناصب والمراتب، وفشل فى مشروع تربية أولاده؛ لهو أكبر الفشل ولو وصل بنجاحه إلى القمر.

وإنَّ مرحلةَ الطفولةِ أخطرُ وأهمُ مرحلةٍ فى حياة الإنسان، إذ هى بداية غرس المبادئ والقيمِ والمفاهيم، وهى البيئةُ التى يظهر فيها ميولُ الإنسانِ ونوازعهُ للمربى الجادِ الذى جعل من ملاحظتِه ومُتَابَعَتِهِ سلوكَ الصغيرِ معيارًا يتعرفُ بهما على جِبِلَّتِه، ويعرف من سلوكه الجيد النافع فينميه، ويقوِّم من سلوكه المعوج الذى لو تُرك لجعل الطفل من الفساد فى المجتمع بمكان، مثل العدوانية والانطوائية وغيرها

الكثير من الأمراض والسلوكيات المنحرفة عند الأطفال، التى لو عولجت عن وعى؛ لتغير مسارُ الصغيرِ فى حياته كلِّها.

وإن كلَّ أمةٍ إنَّمَا يصلُح أفرادُها، وتثبتُ على مبادئها، ويحملُ رايةَ عقيدَتِها صغارُها عن كبارِها، فإن صلح صغارها صلحت الأمة وإن فسد صغارها انحرفت الأمة وتأخرت عن ركب الحضارة، ولذلك فإن مرحلةُ الطفولةِ محطَ أنظارِ المصلحين، ومجمعَ اهتمامِ المربين، ومجالَ بحثِ الباحثين، لمن أراد لأمته التقدم والتفوق والرقى، وهى كذلك محطُ أنظارِ المفسدين، ومجمعُ اهتمامِهم وميدان إنفاقِهم، لعلمهم علم اليقين أن ذلك مما يودى بحياة الأمم ويجعلها تابعة لغيرها متأخرة عن ركب الحضارة والرقى والتقدم.

وإنَّ المتفحص والمتأمل فى حالِ كثيرٍ من أفرادِ الأمَّةِ الإسلاميّة، يرى أنَّ هجماتِ أعدائِهم قد أثرت فى أبنائِهم، وأنَّ مخططاتِ مفسديهم قد انحرف بسببها كثيرٌ من أولادهم، فتشوهتْ صورةُ الجيلِ الصاعد، الذى هو مستقبل الأمة وعليه يُعَوَّل الكثير من الأمل لتقدمها ورقيها، وما كان هذا الأمرُ يحدث أبدًا لولا ذلك البعد والانفصال الذى وقعَ بين كثيرٍ من المسلمين وبين كتاب ربِّهم، وسنةِ نبيهم صلى الله عليه وسلم، وسيرِ أسلافهم، فوجدوا أنفسهم بلا أُسُسٍ ولا مبادئ ولا قدوات، فانهزموا فى أنفسهم، وبهرهم تقدُم غيرهم، فتعلقوا بركابهم، وتشبثوا بأذنابهم، وأخذوا بمفاسدهم، وَعَجَزوا فى مدنيتهم عن مواكبتهم.

لذلك كان لزامًا على الجميع: معرفةُ قواعدِ التربية الصحيحة، ليعرف كلُّ فردٍ دورَه ومكانته، وأساليبَ تطبيقِ ما تعلمَ فى حياته العملية، وبيئته الأسرية، ليؤدى دوره الرائدَ فى إخراجِ جيلٍ صالح، وناجح، ومؤمن متمسكٍ بدينه، ساعٍ لإرضاء ربِّه، حريصٍ على الأخذِ بسنة نبيه، مترسمٍ خُطى سلفِهِ الصالح.

وقد تضمن القرآنُ الكريمُ، والسُّنَّةُ المطهرةُ، وسيرُ سلفِ هذه الأمةِ كمًّا هائلًا من المبادئ والقيم والمعانى والآداب، والأساليبِ التربوية، التى يجبُ أن يُرَبَّى عليها

الصغير، منذ نعومة أظفاره، وعليه فإنى أوجه هذه الرسالة إلى كل من يهمه الأمر من:

أولًا: الآباء الذين أدعوهم فيها إلى أن يراعوا حق الله فى أبنائهم فهم سيسألون أمام الله عنهم.

ثانيًا: علماء الأمة ودعاتها، أريد منهم توجيه الاهتمام إلى تنشئة الأطفال على طاعة الله، وحبه وحب رسوله، وتنشئتهم على العقيدة الصحيحة التى تحميهم من الانحرافات والخرافات التى تهلكهم وتفسد المجتمع برمته.

ثالثًا: المدرسين والمربين والمعلمين، أتمنى أن يراعوا حق الله فى تنشئة جيل متميز يحمل راية التقدم والرقى فعليهم العبء الأكبر فى هذه التنشئة وفى توجيه طاقات الأطفال والشباب إلى كل نافع ومفيد.

رابعا: المجتمع برمته أدعوهم فيها إلى أن يصلحوا ولا يفسدوا، ويبنوا ولا يهدموا، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأن يرفعوا من شأن الطائعين بينهم ويسقطوا من شأن العصاة بينهم، وأن يكثروا من ذكر الخير حتى ينتشر، ويكفوا عن ذكر الباطل حتى يندثر.

ويجب على الجميع من المربين والآباء أن يراعوا: مراحلَ عمرِ الصغير، و ميوله، وقدراتِه على الفهمِ والأخذِ بما يُلْقَى عليه، فليس كلُّ طفلٍ يعامل كالآخرين، لذلك لا بدّ من مراعاةِ الاختلاف بين كلِّ طفلٍ وآخر، وأن يُبْنَى على هذا الاختلافِ ما يُلقى على الصغيرِ كمًّا وكيفًا، وعليهم أن يعلموا أن فطرةَ الصغيرِ سليمة، وأنَّ ما يلحقها من كدرٍ مَرَدُّهُ إلى مؤثراتٍ خارجيّة، وأنَّ المربى يتحمل الجزء الأكبر من ذلك، وعليهم أن يعلموا أنَّ الأخلاق تقبل التغيير، وعليهم أن يَعْلَمَوا أنَّ الصغيرَ يملكُ قدراتٍ عقليةٍ عظيمة وهذه القدراتُ بحاجةٍ إلى إظهارٍ وتنمية، وإلاَّ اضمحلت، أو انحرفت، قال ابن القيم الجوزية: (وأكثر الأولاد إنّما جاء فسادهم من قِبَل الآباء وإهمالهم لهم)، وعلى الآباء والمربين أيضًا أن يصبروا، فإنَّ مرحلة

الطفولة طويلة، ومَهَمَتُهُم فيها: بذرُ الحسن، وتقويمُ المعوج، وقلعُ القبيح، والنتائج بيد الله سبحانه وتعالى!.

وجاءت هذه الرسالة فى ثمانية فصول كل فصل يهتم بجانب من جوانب الحياة التى يمر بها الطفل والتى نحتاج إليها جميعًا لنخرج جيلًا من الشباب يستطيع أن يقيم ما اعوج فى هذه الأمة، فجاء الفصل الأول: عن ما يسبق التربية من إعداد الأسرة؛ أى: ما قبل التربية، وله أهمية كبيرة فى تربية النشء ومستقبلهم، والفصل الثانى: عن التربية الإيمانية التى يحتاج إليها الآباء والأمهات قبل الأطفال لحل كل مشكلات حياتنا، ثم الثالث: عن التربية العبادية التى غفل عنها الناس بسبب إهمال تربية أبنائهم عليها منذ نعومة أظفارهم، والفصل الرابع: عن التربية الخلقية التى غابت عن كثير من المجتمعات العربية والإسلامية، والفصل الخامس عن التربية العلمية، والفصل السادس: عن التربية النفسية، والفصل السابع: عن التربية السلبية، والفصل الأخير: عن وسائل المربى والزاد الذى يحتاج إليه والمعينات على التربية الحقة التى تنشئ جيلا من الأطفال والشباب ليكونوا قرة عين لآبائهم وأمهاتهم...

وإنه لمن السهل تأليف كتاب فى التربية، ومن السهل أيضًا تخيل منهج معين، ولكن لا يفيد إلا أن يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك وتثمر وتنتج فى المجتمع، وتؤثر فيه، وتقوِّم السلوك الضار وتنمى السلوك النافع ليعم الخير فى النهاية على المجتمع ككل، ولذلك أرجو من الله أن يترجم الآباء والمربون ما فى هذا الكتاب وغيره إلى منهج عملى يسيرون عليه ليتخرج جيل من الشباب يحمل هم هذا الدين، ويحسن لنا صورة المجتمع.

وهذا هو جهد المقل ليس لى فيه إلا الجمع والترتيب؛ لما رأيت من أهمية عظيمة لهذا الموضوع الخطير فى حياة الأمم والمجتمعات، والتى غفل عنه الكثير من الناس بسبب قلة الوعى أحيانًا، وبسبب الانهماك فى مشاغل الحياة أحيانًا أخرى ... وأسأل

الله أن يحقق هذا الكتاب ما كنت أرجوه من رسم إضاءات وومضات وإيجاد حلول لمشكلات غفل عنها كثير من الناس، ويتنبه لها أولياء الأمور، ليرسموا لأطفالهم حياة أفضل، ليسمو المجتمع ويتقدم ويرتقى، وتختفى منه مظاهر الفساد التى استشرت فيه، وأتمنى أن ينتفع به الجميع المنفعة القصوى.... وما كان من خطأ أو سهو أو زلل فمن نفسى، وما كان من توفيق فمن الله عز وجل، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب....

محمد السيد طراد

عزبة النخل - القاهرة

مارس ٢٠١٠م